

# واقع الحرف العربي في إفريقيا

## بين الماضي والحاضر

أ.د/ بابكر حسن محمد قدرماري<sup>(١)</sup>

### مستخلص البحث

تناولت هذه الورقة، أوضاع الخط العربي، في إفريقيا في الماضي، والحاضر. إذ اللغة العربية قديمة في إفريقيا، وهي لغة وطنية، الأمر الذي يؤكد علماء اللغة الغربيون. وهذا يؤكد قدم الحرف العربي في إفريقيا.

بعد انتشار الإسلام في إفريقيا، ذاع صيت الحرف العربي في شتى أنحاء إفريقيا، وكُتبت عدد من اللغات الإفريقية، بالحرف العربي - بعضها لأول مرة في تاريخها. ثم تراجع الحرف العربي إثر سيطرة الاستعمار الأوربي على البلدان الإفريقية، وطفى الحرف اللاتيني في كثير من أنحاء إفريقيا، وهناك أسباب كثيرة وراء ذلك؛ ثم بدأ الحرف العربي يتعافى بعد خروج المستعمر الأوربي من إفريقيا. وتداعت عدد من المنظمات لمشروع كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، وبذلت جهوداً طيبة؛ وذلك حتى وقتنا الحالي. إلا أن هناك بعض العقبات تقف أمام هذا المشروع، على رأسها صعوبة تعميم حوسبة الحرف العربي المعدل في أنحاء إفريقيا، وهناك صعوبات أخرى إلا أنها ليست عصية الحلول.

<sup>(١)</sup> عميد عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي والنشر - جامعة إفريقيا العالمية.

## Abstract

This paper dolt with the situation of Arabic letters in Africa In fact Arabic Language is an .during the past and present indigenous Language in Africa, the fact that has been confirmed by the western Linguists. Thus Arabic letters are known to many .Africans before Islam

Letters became more known to many Africans, not only that, but also affected their Language and nearly thirty of them .written in Arabic letters

When the Europeans arrived to Africa, Arabic language and Arabic letters retreated back and there the Latin letters took place. After the independence of the Africa countries, Arabic letters started to recover bit by bit. A number of organizations stood together for write African language in Arabic litters. They did a good job, but still a head of them a number of problems, but they can be solved if concrete efforts are contributed for .that

لا شك أن الحوار والكلام يسبقان الكتابة والرسم الكتابي لكل لغة من اللغات، وهكذا عرفت اللغة العربية حواراً وكلاماً في الأجزاء الشمالية والشرقية من إفريقيا بالأصالة اعتماداً على آراء بعض اللغويين التي تشير إلى أن أصل السامية، أم العربية في إفريقيا. وقد تكون العربية قد عرفت في إفريقيا حواراً وكلاماً بعامل التأثير التجاري والملاحة والمجاورة للبلاد العربية، وكذلك بعامل الهجرات العربية القديمة قبل الإسلام إلى شرق إفريقيا لعوامل سياسية سادت في شبه الجزيرة العربية.

ومهما يكن من أمر؛ فإن اللغة العربية قديمة وأصيلة في إفريقيا الأمر الذي يؤكد علماء اللغة الغربيون الذين بادروا بتصنيف اللغات الإفريقية، فصنفوا اللغة العربية، ضمن اللغات الوطنية في إفريقيا، على رأسهم Minihof و Westerman - اللغويان الألمانيان، و Greenberg واللغوي الأمريكي، وكان هذا كله قبل ظهور الإسلام. أما بعد ظهور الإسلام وانتشاره الواسع في إفريقيا - فقد أضحت اللغة العربية سيدة الموقف من بين اللغات الإفريقية منذ القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، إذ سادت في شمال إفريقيا وغربها وشرقها ووسطها بل حتى جنوب القارة. و رأس الرمح في ذلك كله الحرف العربي الذي مثل البداية الأولى لكتابة اللغة العربية في إفريقيا، فما من موقع وصل إليه الإسلام في هذه القارة إلا وقامت فيه خلوة قرآنية لمدرسة القرآن الكريم والتعريف بشعائر الدين الإسلامي - ومن هنا نجد أن مدخل كل مسلم للإسلام في القارة الإفريقية سابقاً هو الخلوة القرآنية من بعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأن أول ما يبدأ به؛ هو تعلم الحروف العربية حرفاً حرفاً، حيث يتدرب الفرد على نطق هذه الحروف وكتابتها، ثم يتدرب على نطق وكتابة الحركات من كسرة وضمة وفتحة وتنوين فالشدة، من بعد ذلك يتحول لكتابة الكلمات فالبسمة، ثم ينطلق في كتابة السور القرآنية.

بهذا نجد أن مرحلة كتابة الحروف العربية ومعرفتها مرحلة أخذ بها جُل المسلمين في إفريقيا - علماً بأنهم يشكلون الغالبية العظمى في القارة. فالحرف العربي مألوف للضد المسلم الإفريقي، وإن لم يكن كثير منهم على إلمام باللغة العربية قراءة وتحديثاً.

انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في أنحاء القارة الإفريقية، وقامت ممالك وسلطنات عربية إسلامية في شمال القارة وغربها وشرقها، واتخذت اللغة العربية لغة رسمية لهذه الممالك والسلطنات، وبذلك انتهى الأمر إلى أن أضحت الجزء الشمالي من القارة لغته الأولى هي اللغة العربية، في سبع من دول إفريقيا هي: "مصر، وتونس، وليبيا، والجزائر والمغرب، وموريتانيا، والسودان". وازداد عدد متحدثي هذه اللغة في أنحاء أخرى في إفريقيا - حتى تربعت اللغة العربية القمة من بين اللغات الإفريقية المتحدث بها في الفترة من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، بل يشير توماس أرنولد - إلى أن اللغة العربية ؛ قد ارتفعت إلى مستوى أعلى من ذلك حيث يقول: "غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية". - أدى كل هذا إلى كتابة كثير من الوثائق والكتب والمخطوطات باللغة العربية فشكلت تراثاً عربياً إسلامياً إفريقياً يشار إليه بالبنان.

هنا أخذ أهل إفريقيا الحرف العربي فتفننوا فيه - كتبوا الكتب والمخطوطات بالعربية ودونوا به الكثير بلغاتهم حتى وصل عدد اللغات الإفريقية التي كتبت بالحرف العربي إلى ثلاثين لغة أو يزيد ، شملت لغات: "الهوسا، والولوف، والماندنقا، وصنفاي، والكانوري، واليوربا، والفلولاني، والأمازيقية (البربرية)، وتماشق وشلهي، والصومالية، والأرومو، والأمهرية، والقمرية، واللوغندا، والدينكا، والشلك، واللاتوكا - بل شملت لغة أفركانا في جنوب إفريقيا. هناك وُظف الحرف العربي في مجالاتٍ شتى: تأليف الكتب

والمخطوطات، وكتابة الرسائل، والمكاتبات للأفراد، كما استخدمت في العقود، وكتابة الشعر، وفي إصدار عدد من المجلات الدورية في السنغال، ونيجيريا، وشرق إفريقيا، بل استخدم الحرف العربي في الدعايات والإعلانات الصحية والزراعية، والمنافسات الرياضية - الأمر الذي كان سائداً في جنوب السودان قبل انفصاله عن دولة السودان.

أثرت اللغة العربية في الكثير من اللغات الإفريقية حيث غدّتها بأصواتٍ وألفاظ، بل جعلت جديدة لعوامل كثيرة بعضها قديمة على رأسها التجارة، فأخذت لغة الهوسا ألفاظاً عربية كثيرة منها: الحرير، والسرج، والزعفران، والبصل، وألفاظ العقود من الأعداد - عشرين إلى تسعين، وألفاظاً أخرى لا يستغنى عنها التاجر كالغش والحساب والربح والخسارة والأمانة. ودخلت اللغة السواحيلية الكثير من مثل هذه الألفاظ؛ بعامل التجارة والتواصل. وبعد الانتشار الواسع للإسلام أخذت الكثير من لغات غرب إفريقيا وشرقها ألفاظاً وجمالاً عربية تتعلق بالدين الإسلامي فأضحت جزءاً لا يتجزأ من تلك اللغات منها: الركوع، والركعة، والوضوء، والصلاة، وأيام الأسبوع، والأسماء العربية من: محمد، وعمر، وعثمان، وفاطمة، وخديجة، وصالح، ومصطفى وغيرها. ومن الجمل العربية التي دخلت في كثير من اللغات الإفريقية: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله، سبحان الله، الحمد لله، أعوذ بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، والبركة وغيرها مما نجده اليوم في لغات الهوسا والفلولاني والولوف والكانوري والسواحيلية والصومالية والقمرية وغيرها من اللغات الإفريقية. الجدير بالذكر أن العملة النيجيرية ملتزمة بتضمين الحرف العربي في عملتها حتى اليوم - حيث نجد أن كلمة (نيرا) مكتوبة على العملة الورقية النيجيرية، ولا غرو في ذلك - فالعملة الصينية الورقية متضمنة الحرف العربي إلى يومنا هذا.

نخرج من هذا كله إلى أن الخط العربي قد وجد قبولاً وتدافعاً كبيراً من المجتمع الإفريقي - خاصة سلمية، بل لعب الحرف العربي دوراً معتبراً في تطوير الكثير من اللغات الإفريقية وإثرائها، فأخذها إلى طور الرقي الحضاري جعلها مكتوبة بعد أن كان يتم تناولها شفاهة فقط.

## هيمنة اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية والحرف العربي:

جاء المستعمر الأوروبي وهيمن على القارة الإفريقية وفرض سيطرته التامة على القارة منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين الميلاديين. واجهت اللغة العربية، وحرفها حرياً شعواء من الاستعمار الأوروبي وأتباعه، وذلك بصورة مباشرة وأخرى غير مباشرة. فرض المستعمر الأوروبي لغاته الغربية من فرنسية وإنجليزية وبرتغالية وأسبانية وبلجيكية ونحوها، وسادت الثقافة الأوروبية في إفريقيا مع إهمال اللغة العربية إهمالاً تاماً وإبعادها من مناهج التعليم في القارة الإفريقية، فتراجعت اللغة العربية وتراجع معها الحرف العربي، وتوجهت الشعوب الإفريقية نحو كتابة لغاتها بالحرف اللاتيني الذي وجد الدعم والتشجيع من قبل المستعمر الأوروبي.

شن الاستعمار الأوروبي حرياً واضحة ضد اللغة العربية وحرفها في إفريقيا، وأعد لذلك وسائل كثيرة، منها بث التعليم عبر اللغات الأوروبية وجعل شغل الوظائف حكراً لتعلميها، وبعث بعض أبناء إفريقيا إلى أوروبا للتعليم والتشبع بالثقافة الغربية والانبهار بها، حتى إذا ما رجعوا إلى بلدانهم عملوا على نشر ذلك التعليم وتلك الثقافة، وارتقوا مراكز عليا في بلادها كما حدث للرؤساء الآتية أسماؤهم موبوتو، ونيريري، وسنغور، وتمبليباي وغيرهم ممن امتدح اللغات الغربية وثقافتها وحمل على اللغة العربية.

قام المستعمر الفرنسي في تشاد بإغلاق عدد من مؤسسات التعليم العربي الإسلامي عام ١٩٥٣م، منها المعهد العلمي الذي أسسه الشيخ/ محمد عيش عووضة عام ١٩٤٦م والذي أعيد فتحه بعد احتجاج المسلمين في تشاد. كما قتلت السلطات الفرنسية أكثر من أربعمئة عالم تشادي، من علماء المسلمين في مجزرة شهيرة في التاريخ التشادي عرفت باسم مجزرة (الكبكب)، أي الساطور (آلة الذبح)، كما نُفي عدد العلماء المسلمين إلى خارج تشاد، وصادر الفرنسيون عدداً كبيراً من الكتب والمؤلفات والمخطوطات العربية الإسلامية التشادية ونقلوها إلى فرنسا.

كتبت إحدى الصحف الجزائرية مقالاً جاء فيه: "كان آباؤنا قبل مجيء الاستعمار إذا صحا أحدهم من نومه نادى يا الله ... يا الله ... إله واحد، فلما دخل الاستعمار ودخل معه المبشرون جعلوا الواحد ثلاثة، والثلاثة واحداً فشوشوا أفكارنا وعقولنا".

في عام ١٩٣٨م أصدر وزير الداخلية الفرنسي في الجزائر قراراً بمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر، ونص القرار على أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر كما رفضت الإدارة البريطانية التي كانت تستعمر كينيا رفضت طلباً للمسلمين في كينيا لإدخال اللغة العربية ضمن المواد التي تُدرّس في المدارس الابتدائية الحكومية.

كما يُرى العداء الغربي للغة العربية، واللغات التي تسير في فلكها منها السواحيلية؛ وذلك من خلال خطاب الأسقف البريطاني Toker Afred الذي وصل لإرسالية جمعية مبشري الكنيسة (CMS) في يوغندا بتاريخ: ١٩٠٤/١٢/٣٠م، حيث يناهض فكرة تشجيع السواحيلية في يوغندا، إذ السواحيلية عنده مثل العربية ذات الشورور - في فهمه، وأنه يفضل أن تسود الإنجليزية في

يوغندا مثلما فضل اللورد كرومر الإنجليزية على العربية في وادي النيل تماماً،  
ونص خطاب الأسقف هو:

*A little while ago col. Sadler wrote to me on this language question and suggested that we should encourage Swahili. I replied strongly depreciated the idea and expressed our intention of doing all in my power to further the study of English. Swahili like Arabic means Mohammedanism and all its evil influence. If there is a langu Franca in the Uganda protectorate I should much prefer English to Swahili just as Lord Cromer prefers English to Arabic for the Nile Valley .*

### مآلات ما بعد الاستقلال :

خرج المستعمر الأوربي من إفريقيا وبدأت الدول الإفريقية تتنسم الحرية والاستقلال وذلك في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي. وتبع ذلك بعض اليقظة للغة العربية وحرفها، إذ انتعشت الخلاوى القرآنية وانتشرت المدارس العربية و الإسلامية الخاصة، وكذا المعاهد - بل قامت عدد من الجامعات العربية الإسلامية هنا وهناك - ورغم كل ذلك؛ فإن الحرف العربي لم يواكب الصحوة التي بلغتها اللغة العربية؛ بعد استقلال الدول الإفريقية، ومرد ذلك أسباب كثيرة، نجمل أهمها في الآتي:

- لا يزال التعامل، والتواصل اليومي، الشفاهي والكتابي بين جموع الشعوب الإفريقية غير العربية يتم عبر اللغات الأخرى - أوربية أو إفريقية؛ باستخدام الحرف اللاتيني، وليس هناك نصيب يذكر للغة العربية شفاهةً أو كتابةً مما أضعف شأن الحرف العربي.



- ارتبط الأخذ باللغات الأوربية، وحروفها اللاتينية بمغريات يصعب التخلي عنها على رأسها سهولة التوظيف والترقي بل الابتعاث للترقي العلمي والتدريب في أوربا، الأمر الذي لا يتأتى لطلاب اللغة العربية والحرف العربي.
- النظرة الدونية للذين يُقبلون على اللغة العربية وحروفها في إفريقيا غير العربية، بل الأمر كثيراً ما ينداح على الدول الإفريقية العربية نفسها، فقد كان خريج اللغة العربية من مصر أو السودان يوظف في وظائف أقل درجة من قرنائه؛ الذين يتخرجون من الجامعات بتخصصات اللغة الإنجليزية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ، بل تأتي فرصته تالية لهؤلاء ثم ينداح الأمر بنفس التدرج في الترقى.
- فالأمر يقتضي أن تنتبه الدول العربية في المقام الأول، لهذا الأمر وترفع من شأن متعلمي اللغة العربية وإيلائهم مرافق مرموقة إدراياً، وأكاديمياً، واجتماعياً؛ حتى يرتفع شأن هذه اللغة ويُحترم أهلها، ويبوؤون مراتب عليا، وبذلك تجد اللغة وحرفها الإجلال والتقدير السوي.
- ما يبدو على العيان من تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية في عصرنا الحالي مما يستصعبه كثير من سكان إفريقيا وتلوكة الألسن، الأمر الذي يحبط الكثير من الأخذ بالحرف العربي والتعامل به.
- ارتباط الدول الإفريقية غير العربية بالغرب والثقافة الغربية - فالنظم التعليمية السائدة فيها نظم غربية ومركبتها اللغات الأوربية وأحرفها اللاتينية مما يجعل الحرف العربي، قليل الجدوى لهذه الجموع من شعوب إفريقيا مسلمة كانت أم غير مسلمة.

- العداء المستمر والحرب التي يقودها أعداء الإسلام من الغربيين والعلمانيين وغيرهم؛ ضد اللغة العربية وحرفها، وكل ذلك موجه نحو الإسلام في المقام الأول - وقد تبنى هذا العداء بعض أبناء قارة إفريقيا نفسها؛ بل إن بعضهم من أبناء المسلمين، من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية.
- هناك الأجواء السائدة في وقتنا الحالي، من حالات الإرهاب التي تقودها بعض الجماعات من هنا وهناك بسبب الجهل والفتنة، أو ردود الفعل عن عدم إنصاف المسلمين والتعدي عليهم ، ولربما لأسباب أخرى؛ مما يأخذه البعض في النفور عن الإسلام واللغة العربية وحرفها، وكل ذلك علاجه الأول تقديم الإسلام الصحيح، وتفهمه للمسلمين، وغير المسلمين الفهم السليم الذي يجعل المسلم صخرة لا تتزعزع عن دينها مهما بلغت بها نوائب الدهر وأقداره.

## من ادعاءات أعداء الحرف العربي:

يُبيد أعداء الحرف العربي، عدداً من الحجج الواهية رفضاً لهذا الحرف وهروباً منه إلى الحرف اللاتيني، مثل:

أولاً: أن الطريقة السائدة في اللغات أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة، والعربية تعتمد الحركات، وهذا أمر يجعلها صعبة التعامل، وبذلك يستصعبون حركات الإعراب.

ثانياً: أن الالتزام بالحروف العربية يزيد من صعوبة الأخذ بها في الكتابة وأن استخدام اللاتينية أيسر وأضبط.

ثالثاً: أن من صعوبات العربية أن فيها حروفاً تكتب، و لا ينطق بها كما في "عمرو، وأولئك، وكالألف في مائة". كما أن فيها حروفاً لا تكتب، ويُنطق بها كالواو في داود والألف في هذا وذلك.

رابعاً: افتقار اللغة العربية إلى بعض أصوات اللغات الإفريقية، وهي على وجه التحديد: P, G, V على حين توفرها في الحروف اللاتينية.

خامساً: اللغات الأوربية في تطور مستمر؛ بخلاف اللغة العربية في تصورهم.

للرد على هذه الادعاءات نشير إلى الآتي:

أولاً: عن سكون أواخر الكلمات في اللغات الأخرى في حين اعتماد العربية للحركات وصعوبة اللغة العربية بسبب الإعراب - فهذا أمر بعيد عن الصحة، إذ الإعراب مزية جعلت من اللغة العربية لغة مرنة سهلة التناول بالتقديم والتأخير والتبديل السريع أثناء الكلام والكتابة مما لا ييسر لغيرها من اللغات بهذه الطريقة. وهناك الحالات التي لا بدُّ من تشكيل الكلمة حتى ولو جاءت في نهاية الكلام ليتحدد دورها في الجملة بحكم أن اللغة العربية قابلة للتقديم والتأخير في كلماتها، ومع ذلك فإن الوقوف بالسكون في نهاية الجمل أو الكلام أمر سائد في اللغة العربية.

ثانياً: أما قولهم أن الالتزام بحروف العربية يزيد من صعوبة الأخذ بها في الكتابة، وأن استخدام اللاتينية أيسر وأضبط - فذاك مجافٍ للحقيقة، فقد سبق أن كتبت جُل اللغات الإفريقية الكبرى بالحرف العربي والتراث يحفظ لها ذلك في شكل رسائل ومكاتبات وأشعار ومخطوطات، وتلك تجربة عملية سادت في إفريقيا قبل دخول اللغات الأوربية في إفريقيا وسيادة حرفها اللاتيني، بالإضافة إلى أن هناك من الأصوات التي دخلت في عدد كبير من اللغات الإفريقية مما لا نجد له رموزاً في الحروف اللاتينية، منها الحاء والعين وهما

حرفان أصيلان في اللغة الصومالية والتماشق وهناك الضاد والذال والطاء و القاف كل ذلك مما دخل في الكثير من اللغات الإفريقية بين المجموعات المسلمة بسبب عامل الدين الإسلامي وعامل التجارة من قبل، مما سهل أن تكتب بالحرف العربي.

ثالثاً: أما قولهم أن هناك حروفاً عربية تكتب ، ولا تنطق وأخرى لا تكتب وينطق بها، فإنه من المعلوم أن اللغة العربية، مقارنة بأكثر اللغات الأوربية من إنجليزية وفرنسية وأسبانية وغيرها، هي أميز وأحسن من حيث الاقتراب من التتابع بين نطق كلماتها، ورسم هذه الكلمات، انظر إلى التناقض بين نطق الكلمات الإنجليزية وبين رسمها:

Rough, Enough, Right

ثم أنظر إلى رسم صوت الكاف (K):

(King (k), Queen (Q), Climate (C

فالصوت الواحد كتب بثلاثة رموز مختلفة، ومثل هذا كثير في الفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات الأوربية الحالية. فما يكتب ويخالف النطق في اللغات الأوربية، أضعاف مما يوجد في اللغة العربية.

رابعاً: أما إذا دلنا إلى إشارتهم إلى أن اللغة العربية تفتقر إلى بعض أصوات اللغات الإفريقية وهي: P, V, G في حين أنها موجودة من بين الحروف اللاتينية، فهذه تمثل جزئية صغيرة من الأصوات الأخرى التي تحتاج إليها اللغات الإفريقية لرسمها، وقد أمكن كتابتها بشيء من التعديل للحروف العربية فكتبت هكذا P ← ب، V ← ف، G ← ك وهناك كتب ومؤلفات ورسائل بهذا النمط - ولكن لا تتوقف حاجة اللغات الإفريقية؛ إلى رموز جديدة لكتابة هذه الأصوات المذكورة فقط إنما هناك مزيد من الأصوات؛ التي لا

وجود لرموز لها في اللاتينية؛ بل وتتوفر في الحروف العربية وهي أصوات الحاء والعين (أصيلة في بعض اللغات الإفريقية)، وأصوات أخرى مقترضة من اللغة العربية، فأصبحت جزءاً لا ينفك من هذه اللغات الإفريقية، هي: الصاد والضاد والطاء والذال والظاء. فإنه بسبب الدين و التجارة هناك أفاض وكلمات عربية لا فكاك منها بالنسبة لهذه اللغات وقد أضحى أهلها مسلمين، كالوضوء والصلاة ومحمد وعثمان ورمضان، الحج، وخديجة وفاطمة، كل هذه تعجز الحروف اللاتينية عن رسمها لتعبر عن النطق الحقيقي لها، ودخلت اللغات الإفريقية من صومالية وقمرية وهوسا وفلاني وكانوري وتماشق وسواحيلية وغيرها - فلا مجال لكتابة هذه الأصوات لتعبر عن نطقها الحقيقي، بغير الحروف العربية.

إننا إذا أخذنا المعجم السواحيلي المعروف باسم: Standard Swahili – English الذي طبع بالحرف اللاتيني أكثر من مرة في بريطانيا، فباستعراض بعض كلماته السواحيلية المقترضة من العربية والتي لا وجود لها في الأبجدية اللاتينية التي تبنتها، وجدناها تكتب كلمة (حكمة) هكذا "Hekima" و (خير) هكذا "Khari" وكلمة (هداية) هكذا "Hidaya" إذن لا فرق بين الهاء والحاء. ثم انظر إلى حروف الذال والضاد والطاء كلها كتبت بصورة واحدة كما هو الحال في الكلمات Dhahabu، Dhamana، Dhahiri أي ذهب، وضمان، وظاهري، والأمثلة كثيرة في السواحيلية والهوسا والفلولاني وغيرها من اللغات الإفريقية التي كتبت حديثاً بالحروف اللاتينية.

خامساً: وفي ادعائهم أن اللغات الأوروبية، في تطور مستمر بخلاف العربية، فنقول إن التطور يعني إضافة ما هو مفقود أو جديد أو تهذيب ما هو موجود، وأكمل التطور يعني الاثنين معاً.

الإضافة تعني، وضع ألفاظ جديدة، لكل مستحدثات الحياة، والعربية من أكمل اللغات استعداداً لهذا النوع من التطور - لوفرة علماء اللغة العربية الذين ينبرون لهذا الغرض في كل جيلٍ من الأجيال، وكل زمانٍ من الأزمان، فالعالم العربي اليوم يُعجُّ بمجامع، ودوائر اللغة العربية التي جعلت خصباً لهذا الغرض.

## العقبات في مسيرة الحرف العربي في إفريقيا وعلاجها

نعم قد بدأت اللغة العربية تخطو خطوات نحو الصحة والتعالي وكذلك الحرف العربي من بعد سبات عميق لا حراك فيه باستثناء ما كان يأتي من الخلاوى القرآنية التي لم تنطفئ نيرانها طوال فترة الاستعمار الأوربي لإفريقيا - هذا هو الحال في البلاد الإفريقية غير العربية، على أن الصحة الكبرى انطلقت في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي حين تناولت عدد من المنظمات مشروع كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، على رأسها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم (الإيسيسكو) والمنظمة العربية للتربية و العلوم والثقافة (الألسكو)، وبنك التنمية الإسلامي بجدة، وجامعة الملك محمد الخامس بالمغرب ثم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية. هذا وقد انضمت إلى هذه المنظمات جامعة إفريقيا العالمية - تمثلها وحدة كتابة لغات الشعوب الإسلامية، بالحرف العربي - والتي تطورت إلى مركز سمي "مركز يوسف الخليفة" لكتابة اللغات بالحرف العربي".

لقد بذلت المنظمات جهداً مقدراً دفعت به مسيرة الحرف العربي في إفريقيا إلى الأمام، ووصل الأمر إلى إخراج عدد من المعاجم، وترجمة عدد من الكتب إلى عدد من اللغات الإفريقية وذلك بعد حوسبة الحرف العربي الإفريقي على المستوى المحلي في جامعة إفريقيا العالمية.

وبعد كل هذا الجهد و الذي لا يزال متصلاً متواصلًا، فإن مسيرة الحرف العربي في البلدان الإفريقية غير العربية تمضي بخطى بطيئة، فأمامهما عدد من العقبات أهمها:

## العقبة الأولى:

تخلو مناهج التعليم الرسمية المعتبرة، من اللغة العربية وحرفها، وتلك سياسة جُل الدول الإفريقية غير العربية، وبذلك تفقد اللغة العربية وحرفها فرصة التداول اليومي؛ الذي يتم على مستوى المؤسسات التعليمية الرسمية في هذه الدول. وما يجده البعض من بصيص في المدارس الخاصة لا يغني ولا يسمن، ولا يجد الممارسة والتدريب خارج الفصول الدراسية.

البديل لهذا هو الإكثار من مناهج وفصول محو الأمية وتدریس هذه المناهج بصورة مكثفة، وكذلك إعداد كتيبات متنوعة سهلة، زهيدة الثمن تشتمل على الأمثال والحكم والقصص التي تذخر بها اللغات الإفريقية مكتوبة بالحرف العربي، ثم الإكثار من كتيبات شعائر الحج، والعمرة مكتوبة بالحرف العربي بشتى اللغات الإفريقية - توزع مجاناً للأفراد. ومن وسائل ترويج الحرف العربي في إفريقيا غير العربية حتى يعتاده الفرد تضمين لافئات الدعايات للحرف العربي، وذلك بترجمة ما تضمنته هذه اللافتات إلى اللغات المحلية السائدة مكتوبة بالحرف العربي على هذه اللافتات؛ في مواقع شتى المدن والقرى الكبيرة.

## العقبة الثانية:

إنه رغم حوسبة الحرف العربي الإفريقي لكتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، تلك التجربة التي انفرد بها مركز يوسف الخليفة أبو بكر

لكتابة اللغات بالحرف العربي في جامعة إفريقيا العالمية، إلا أن هذه الحوسبة لا تزال في إطار محدود، إذ لم يتم تعميمها في الأجهزة الحاسوبية العامة التي يستخدمها الجميع. فالأمر في حاجة إلى مزيد من الجهد، لإدخال هذه الحروف في النظام الموحد للجهاز الحاسوبي، أي ما يُعرف بـ "Unicode" سواءً كان هذا في موقعه المركزي في واشنطن أو في المراكز الموحدة الأخرى حيث ابتكرت أجهزة حاسوبية أخرى مثل كوريا الشمالية و ماليزيا، وأحسب أن بنك التنمية الإسلامي في جدة مؤهل للقيام بهذا الدور.

### العقبة الثالثة:

الحرف العربي في إفريقيا غير العربية مغمور لا يرقى لمنافسة الحرف اللاتيني الذي تكتب به اللغات الإفريقية والأوروبية السائدة حالياً في إفريقيا من سواحيلية وقمرية وهوسا وماندنقا وولوف وفولاني وإنجليزية وفرنسية وبرتغالية وغيرها من اللغات الإفريقية الأخرى. كل هذه تجد رواجاً، ودعمًا وسوقاً واسعة مما يدفع الأفراد لمزيد من التمسك بها والإنتاج الأدبي عبر هذه الحروف اللاتينية، هذا بعكس ما ينتج بالحرف العربي باللغات الإفريقية، فهو على قلته لا يجد سوقاً ولا رواجاً، إما لصعوبة وصوله إلى من يطلبه بالإضافة إلى العقبات التي توضع أمامه قبل الإنتاج وبعده. هذا أمر يُرجى أن تنتبه له المنظمات؛ التي انبرت لمشروع كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، فتنفق بسخاء حيال هذا المشروع؛ لمزيد من التأليف والترجمة وإحياء التراث العربي الإسلامي في إفريقيا. والأمر يحتاج إلى طرح موضوعات للتنافس في الكتابة فيها مع إعداد جوائز قيّمة لانجازها. كما يُرجى طرح مسابقات في التنفن في الخط العربي ومسابقات تقديم القصص والحكم والأمثال الإفريقية، ومن بعده تقديم جوائز قيّمة لمنتجي هذه الموضوعات - تقدم لهم في ماؤ من الناس في شتى المدن الإفريقية إحياءً لهذا الحرف ومزيداً من الانفتاح نحوه. وقد أصابت



المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الإيسيسكو" حين بادرت بإقامة احتفال سنوي للغة العربية بدأ بمستهل هذا العام الهجري ١٤٣٦هـ ليقام سنوياً في شتى أنحاء البلاد الإفريقية ذات الاهتمام بالأمر.

وفي ظل ذكر علاج العقبات التي تواجه الحرف العربي في إفريقيا، لا بدّ من ذكر دور الخلاوي القرآنية الإيجابية، فالخلاوي القرآنية في إفريقيا من أكبر الثوابت التي يقوم عليها الحرف العربي في إفريقيا خاصة في البلدان غير العربية، فالخلاوي القرآنية مؤسسات لم تتضعع ولم تهتز طوال القرون الماضية انطلاقاً من القرن الثامن الميلادي إلى يومنا هذا. إذ الخلوة القرآنية بسيطة في أساسها، فتقوم تحت ظل شجرة أو ظل حائط المنزل، أو تحت بناء متواضع من العشب والحطب، بل تقوم الخلوة القرآنية في ساحة مفتوحة لا ظل لها، وليلاً ينيرها اشعال النار في حطب زهيد الثمن يأتي به التلاميذ، وهذا سر استمرار الخلاوي القرآنية طوال فترة الاستعمار الأوربي في إفريقيا رغم حربه الشعواء حيال اللغة العربية وحرفها بل الإسلام قاطبة.

إننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بالخلاوي القرآنية في إفريقيا، إذ يقبل عليها المسلمون - الكبير والصغير، الذكر والأنثى، حتى يومنا هذا وبخاصة في البلدان الإفريقية غير العربية، إنها اللبنة الأولى التي يقوم عليها الحرف العربي، ولعل من الاهتمام بهذه الخلاوي القرآنية إدخال برنامج التدريب على فنون الخط العربي في المرحلة المتقدمة من مراحل الخلوة القرآنية، بالإضافة إلى التدريب على كتابة أصوات اللغات الإفريقية بالحرف العربي، كل في إطار اللغة التي يتحدثها. ولمزيد من دفع الدارسين في هذه الخلاوي للالتحاق بها يُرجى توفير وجبة للمطالبل بل شيء من الكساء إذا وُجد - تكريماً لتلميذ أو طالب الخلوة القرآنية.

اختتم كلماتي بأن الساحة الإفريقية، أرض بكر خصب، للحرف العربي الذي يعتبر مركبة للغات الإفريقية، للإفصاح والإبداع، ولا يعني هذا أن الطريق سالكة ممهدة، إنما هناك عقبات وعثرات ولكنها دون قدرات أهل العزم والبصيرة، وكل حلو قبله مرارة ومشقة. فعلينا أن نُنفق، ونخطط، ونعمل، ونصبر على العمل" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" صدق الله العظيم.

والحمد لله من قبل ومن بعد

## الهوامش

- يوسف الخليفة أبو بكر (أستاذ) " اللغة العربية في إفريقيا" مقال في كتاب اللغات في إفريقيا - مقدمة تاريخية، دار طباعة جامعة إفريقيا العالمية - ط ١، الخرطوم ٢٠٠٦م ص ٨٣.
- راجع توماس أرنولد "الدعوة إلى الإسلام" ترجمة حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين، والنحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١ ١٩٧٠م، ص ٤٣٩.
- يوسف الخليفة أبو بكر (أستاذ) - اللغات في إفريقيا، مقدمة تاريخية، ص ٨٥.
- نقلا عن الشيخ عبد الرحمن خليف في كتابه: "اللسان العربي بين الانتشار والانحسار" من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة العدد (١٠١) عام ١٤١٠هـ الموافق: ١٩٩٠م، ص ٩١، نقلاً من مجلة منار الإسلام الإماراتية، شعبان ١٤٠٢هـ الموافق: يونيو ١٩٨٢م.
- أنور الجندي " العالم الإسلامي - الاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي " دار الكتاب اللبناني، بيروت ط ١ ١٩٧٩، ص ٢٣٢.
- محمد إبراهيم محمد " الحرف العربي واللغة السواحيلية في شرق إفريقيا" في أعمال مؤتمر العلاقات العربية الإفريقية، ٣٠ - ٣١ مايو

واقع الحرف العربي في إفريقيا بين الماضي والحاضر أ.د. بابكر حسن محمد قدرماري

١٩٩٨م. وبحوث ٢٠٠٥م جامعة القاهرة - معهد البحوث والدراسات  
الإفريقية - القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٦١٩.

- المصدر نفسه ص ٦٣١.
- راجع الشيخ عبد الرحمن خليف في كتابه "اللسان العربي بين الانتشار والانحسار" ص ٢٣.
- سورة التوبة - الآية ١٠٥.